المجموعة الرابعة من الأسماء الحسنى التي تدخل في باب الولاية والنصر

مقدمة

بعد أن استعرضنا أسماءَ اللَّهِ تعالى التي تدخل في باب الرَأْفَةِ والرَّحْمَةِ، نذكر مجموعَةً أخرى تدخل في باب الولاية والنصر.

لما كان الإنسانُ عاجزاً عن كمال التدبير لأمره، ضعيفاً عن تنفيذ ما يريدُه، وهو بحاجَةٍ إلى قادِرٍ عظيم، يتولَّى تَدْبِيرَ أَمْرِهِ، وتنفيذ مُراداتِهِ، ونَصْرَه على عَدُوِّه، ومساعَدَتَه في التغلُّبِ على كل عَقَبَةٍ يقف في طريق نَجاحِهِ ـ خاصَّةً في هذا الزمانِ العصيب الذي تَمُرُّ به الإنسانية عامَّةً، والشعوبُ الإسلاميَّة خاصَّةً ـ فهو بحاجَةٍ إلى وَلِيٍّ يَتَولَّاه، ووكيلٍ يتوكَّل عليه فَيَرْعَاهُ، وكافٍ يَكفيه، وصَمَدٍ يرجِعُ إليه في أمره كُلِّه، وناصِرٍ يَفْتَحُ عليه بالنَصْرِ، يَسْتَجِيب له إذا دَعَاهُ، ويُسْعِفُهُ إذا تَوَسَّلَ إليه.

ولا يملكُ ذلك كلَّه في الحقيقة إلّا اللَّهُ الخالقُ القادِرُ، الذي بِيدِهِ ملكوتُ السمٰواتِ والأرضِ، مِن هنا جاءَ في المأثور من أسماءِ اللَّهِ الحُسْنى: (الوالي، الولي، الوكيل، الحَسِيبُ، الصَمَدُ، الفتّاح، المجيب).

35 ــ الوالي

معنى الوالي: مأخوذٌ من الوِلاية، وهي المِلكُ للأشياء، والتصَرُّف فيها بِحَسَبِ المَشِيئَةِ، ومالِكُ الشيء يُدافِعُ عنه ويَنْصُرُهُ، فاللَّهُ هو الوالي لنا، أي: مالِكُنا والمُتَصَرِّفُ بتدبير أمورنا، وإذا استنصرناه مؤمنين به مخلصين له، مدافعين عن دينه، نَصَرَنا وأيَّدنا، ومَن عَرَفَ أنَّ اللَّهَ تعالى هو الوالي الحق، اكتفى بولايته ونصره، وسكن إليه في جميع أحواله ومهمّاته. قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: 11]، كما وَرَدَ في حديث أبي هريرة الجامع لأسماء الله الحسنى، الذي أخرجه الإمامان الترمذي وابن ماجه، وهو مُجْمَعٌ عليه بين العلماء.

أقوال أئمة اللغة

قال أبو عُبَيْد: الوَلْيُ: القُرْبُ. وقال الزجّاج في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: 8/ 72] يُقْرَأُ ﴿وَلايَتِهِم﴾ و﴿وِلايَتِهِم﴾ بفتح الواو وكسرها، فمَنْ فتحها جعلَها مِنَ النُّصْرَةِ والنَسَبِ، قال: والوِلايَة التي بِمَنْزِلَةِ الإمارَة مَكسُورَةٌ، قال: والوِلَايَة على الإيمان واجِبَةٌ، المُؤْمِنُون بَعْضُهم أولياءُ بَعْضٍ. نقول: وَلِيٌّ بَيِّنُ الوَلايَة، ووالٍ بَيِّنُ الوِلايَة). انتهى كلام الزجّاج. وقال الأزهري: تَوَلَّيتُ فلاناً: اتَّبَعْتَهُ وَرَضِيتَ به، والتوليَةُ مصدَرٌ، كقَوْلِكَ: وَلَّيْتُ فلاناً عَمَلَ ناحِيَتَهُ: إذا قَلَّدْتَهُ ولَايَتَها. والتولّي يكون بمعنى: الإعْراضِ، ويكون بمعنى: الاتِّباع، قال الله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: 38] أي: تُعْرِضُوا عَن الإسلام، وأما قولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: 23]، معناه: يَتَّبِعُهم وَيَنْصُرُهُمْ، والمُوالاةُ: المُتابَعَةُ.

أقوالُ العلماء

قال الإمام الغزالي في كتابه «المَقْصدُ الأَسْنَى في شرح أسماء اللّهِ الحسنى»: (الوالِ هو الذي دَبَّر أُمورَ الخَلْقِ وَوَلِيَها، أي: تَوَلّاها، وكان مَليّاً بولايتها.

وكأن الولاية تُشْعِرُ بالتَدْبير والقُدْرَةِ والفِعْلِ، وما لم يَجْتَمِع جميعُ ذلك له لم يُطْلَق اسمُ الوالي عليه، ولا والي للأُمُورِ إلّا اللَّهُ تعالى، فإنّه المُنْفَرِدُ بتدبيرها أولاً والمُتَكَفِّلُ والمُنَفِّذُ للتدبير بالتحقيق ثانياً، والقائمُ عليها بالإدامةِ والإبقاء ثالثاً).

وقال الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» في تفسير هٰذا الاسم: (الوالي: هو مالك الأشياء جميعها المُتصرِف فيها، وكأن الولايةَ تُشْعِرُ بالتَّدْبيرِ والقُدْرَةِ والفِعْلِ، وما لم يَجْتَمِعُ ذلك فيها لم يَنْطَلِقْ عليه اسمُ الوَالِي. وكلُّ مَن وَلِيَ أمراً أو قامَ به فهو مَوْلاهُ وَوَلِيُّهُ، وقد تختلفُ مصادرُ هٰذه الأسْماءِ؛ فالوَلَايَةُ - بالفتح - في النَسَبِ والنُصْرَةِ، والوَلَايَةُ - بالكسر - في الإمارَةِ. والوَلاءُ المُعْتَقُ والمُوَالاةُ مِنْ وَالَى القَوْمَ. ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي: «**مَن كُنْتُ مولاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**». قال الشافعي ﷺ: يعني: بذلك وَلَاءَ الإسلام، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: 11] وقال عمر لعليٍّ ﷺ بعد قول الرسول ﷺ «**أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ**» أيْ: وليَّ كل مؤمنٍ. وقيل: سبب الحديث أن أسامَةَ مولى النبي ﷺ قال لعلي وقد أَمَرَهُ بشيءٍ: لَسْتَ مَوْلَايَ فَتأمُرُني، إنما مَوْلَايَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن كنتُ مولاهُ فعَلِيٌّ مَوْلاهُ**».

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والدارمي: «**أيُّما امْرَأَةٍ نكحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ مولاها فنكاحُها باطِلٌ**». وفي رواية «وَلِيُّها» أي: مُتَوَلِّي أمْرِها كأبيها ونحوه. ومنه الحديث الذي أخرجه البخاريُّ في صحيحه: «**مُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأَسْلَمُ وغِفَارُ مَوالِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ**».

أثره على العبد

فمن عَلِمَ أنَّ اللَّهَ مَوْلاه توكَّلَ عليه، وفوَّض أموره إليه، واستعان به في كل أمر، واستمدَّ منه العون والنصر، ولم يعتمد على أحدٍ سِواه، ووالى أولياءه، وعادى أعداءهُ وأُحبَّ مَن يُحِبُّه، وأَبْغَضَ مَن يُبْغِضُه.

36 ــ الولِيُّ

معناه

الوَلِيُّ: مأخوذٌ من الوِلَايةِ أيضاً، ولكنه أبلغ مِنَ الوالي، فمعنى كونِ اللَّهِ وَلِيّاً: أي: أنه المُتَكَفِّلُ بِأُمورِ الخَلَائِقِ كُلِّها، والناصِرُ لأَوْلِيَائِهِ على أعْدَائِهِ؛ لأنه يَتَوَلَّاهُمْ بِتَأْييدِهِ وَنَصْرِهِ. ومَنْ عَرَفَ أنَّ اللَّهَ هو وَلِيُّ المؤمنين لم يَتَّخِذْ وَلِيّاً غيرَه، وإنما يُرْجِعُ أمْرَهُ كُلَّهُ إليه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى: 9]. وقد ورد في القرآن الكريم في (38) موضعاً، كما جاء في حديث أبي هريرة الجامع لأسماء الله الحسنى الذي أخرجه الترمذي.

أقوال العلماء في تفسيره

قال حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي الشافعي في كتابه «المَقْصِدُ الأَسْنَى في شرح أسماء اللَّه الحُسْنَى» في تفسير هٰذا الاسم: (الولي: هو المحبُّ النَاصِر، ومعنى وُدِّه ومحبَّته قد سبق. ومعنى نُصْرَتِهِ ظاهر، فإنَّه يقمعُ أعداءَ الدين ويَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: 257] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد ﷺ: 11] أي: لا ناصِرَ لهم وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21].

الولِيُّ مِن العِبادِ مَن يُحِبُّ اللَّهَ، ويُحِبُّ أَوْلِيَاءَه، ويَنْصُرُه، ويَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ ويُعَادِي أَعْدَاءَهُ، ومِن أعدائه: النَّفْسُ، والشَّيْطَانُ، فَمَنْ خَذَلَهُما، ونَصَرَ أَمْرَ اللَّهِ تعالى، ووالى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وعادَى أَعْدَاءَهُ فهو الوَلِيُّ مِنَ العِبَادِ). انتهى كلام الغزالي.

وقال الإمام مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي في كتابه «النهاية في غريب الحديث» في تفسير هٰذا الاسم: (الوَلِيُّ: هو النَاصِرُ، وقيل: المُتَوَلِّي لأُمُورِ العالَم والخَلائِقِ، القائِمُ بها. وقد تكرر ذكرُ المَوْلَى في الحديث، وهو اسْمٌ يَقَعُ على جماعَةٍ كثيرة: فهو الرَّبُّ، والمالِكُ،

وَالسَيِّدُ، والمُنْعِمُ، والمُعْتِقُ، والنَّاصِرُ، والمُحِبُّ، والتابعُ، والجارُ، وابنُ العَمّ، والحَليفُ، والعَقِيدُ، والصِهْرُ، والعَبْدُ، والمُعْتَقُ، والمُنْعَمُ عليه. وأكثرُها قد جاءت في الحديث، فيُضَافُ كلُّ واحِدٍ إلى ما يقتضيه الحديثُ الواردُ فيه. وكلُّ مَن وَلِيَ أمْراً أوْ قَامَ به فَهُوَ مَوْلاهُ ووليُّهُ. ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والدارمي: «**أيُّما امرأة نكحَتْ بِغَيْرِ إذْن وَلِيِّهَا فَنِكاحُهَا باطِلٌ**» أي: مُتَوَلِّي أمْرِهَا).

أقوال المُفسِّرين

يقولُ الله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: 256، 257] يقولُ تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ أي: لا تكرِهوا أحَداً على الدخول في دِينِ الإسلام، فإنَّهُ بَيِّنٌ واضِحٌ جَلِيٌّ دلائِلُهُ وبراهِينُهُ، لا يَحتاجُ إلى أن يُكرَهَ أحَدٌ على الدُخول فيه، بل مَن هَداهُ اللَّهُ للإسلام وَشَرَحَ صَدَرَهُ ونَوَّرَ بَصيرَتَهُ دَخَلَ فيه على بَيِّنَةٍ، ومَنْ أعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ وخَتَمَ على سَمْعِهِ وبَصَرِه، فإنه لا يُفيدُهُ الدُخولُ في الدين مُكرَهاً مَقْسُوراً.

وقولُه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: مَن خَلَع عِبادَة غَيْرِ اللَّهِ من الأندادِ والأوثانِ وما يَدْعُو إليه الشيطانُ مِن عِبادَةِ كلّ ما يُعْبَدُ مِنْ دونِ اللَّهِ، ووحَّدَ اللَّهِ، فَعَبَدَهُ وَحْدَهُ وشَهِدَ أن لا إلَهَ إلا هُوَ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أي: فقد ثَبَتَ في أمْرِهِ واسْتَقَامَ على الطريقة المُثْلَى، والصِراطِ المُسْتَقِيم. أخرج ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وأبو القاسم البغوي، عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ قال: إن ﴿الْجِبْتِ﴾: السِّحْرُ و ﴿الطَّاغوتِ﴾: الشيطان». ومعنى قوله في ﴿ٱلطَّٰغُوتُ﴾ إنه الشيطان قويٌّ جداً، فإنه يَشمَلُ كلَّ شَرٍّ كان عليه أهْلُ الجاهلية؛ من عِبادَةِ الأوثان، والتحاكُم إليها، والاستنصارِ بها.

وقولُه ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ أي: فقد اسْتَمْسَكَ مِنَ الدين بِأقْوَى سَبَبٍ، وشَبَّهَ ذلك بالعُرْوَةِ الوُثقى ـ أي: عُقدة الحَبْلِ ـ التي لا تَنْفَصِمُ

هي في نفسها مُحْكَمَةٌ مُبْرَمَةٌ قَويَّةٌ، وربطها قَويٌّ شديدٌ، ولهٰذا قال: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ قال مُجاهِد: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يعني: الإيمانَ. وقال السُّدِّي: هو الإسلامُ. وقال سعيد بن جُبَير والضَحَّاك: يعني لا إلٰه إلّا اللّٰهُ، وعن أنسٍ بن مالك: ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ القُرآنُ. وقال معاذ بن جبل: في قوله ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ دونَ دُخولِ الجَنَّة.

ثم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ يُخْبِرُ تعالى أنه: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ فَيُخْرِجُ عبادَهُ المُؤمِنين من ظُلُماتِ الكُفْرِ والشَّكِّ والرِّيَب إلى نورِ الحَقِّ الواضِحِ الجلي المبين، السهل المنير، وأنَّ الكافرينَ إنّما وَلِيُّهُم الشيطان يُزَيِّنُ لهم ما هم فيه مِن الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويَحيدُونَ بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ولهٰذا وحَّدَ اللّٰهُ تعالى لفظَ النور، وجَمَعَ الظُلُمات؛ لأن الحقَّ واحِدٌ والكُفْرُ أجناسٌ كثيرة، وكلُّها باطِلَةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153] ومعنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: ناصِرُهُمْ ومُحِبُّهم ومُحِبُّهم ومُعِينِهم، فهو وليُّهم حينما أوْضَحَ لهم الأَدِلَّةَ على الإيمان ولم يتركهم يبحثون عنها، وهو وليهم عندما آمَنُوا، والاهم بالمَعُونَة، وحينما يجاهِدُون في سبيله يكون معهم بنصره، وتستمر ولايته لهم إلى أنْ يموتوا فيرحَمَهُم في قبورهم، ويخَفِّف عنهم يومَ الموقف والحِساب والجزاء في الآخرة، إذن فهو وليّ المؤمنين في جميع المراحل التي يمرُّون بها، فولايَتُه لا تنقطِع ولا تنتهي.

ولاء المسلم

تعريف الولاء

قال الإمام الأزهري: تَوَلَّيْتُ فُلاناً: أي: تَبِعْتُهُ وَرَضِيتُ بِهِ، والتَوَلِّي: أي: الاتِّباع والنُصْرَة والمُتَابَعَةُ.

لمن يكون ولاء المسلم؟

المسلم مأمور بموالاة اللّهِ ورسولِهِ والمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: 257]، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: 55]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: 71].

وقد نهى اللّهُ عبادَهُ المؤمنين أن يَتَوَلَّوْا غيرَ اللّهِ ورسولِهِ والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: 3]، وقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 28] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء: 144]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: 1].

الانتماء لأمّة الإسلام

لقد أرسلَ اللّهُ نَبِيَّهُ محمَّداً ﷺ بالهُدَى ودِين الحقّ وهو: الإسلام لكي يَبْنِيَ أُمَّةً، بِكُلِّ ما تحمل هٰذه الكَلِمَةِ من معنى، فجاهَدَ ﷺ طيلة أربعةٍ وعشرين عاماً لهٰذا الهدف، واستطاع خلال هٰذه المدة أن يَبْنِيَ أُمَّةً مُتكامِلَةً، لها عَقِيدَةٌ خاصَّةٌ، ولها شريعة ربّانية متكاملة لجميع شؤون الحياة، ولها سلوك خاصٌّ مُتَمَيِّزٌ، ولها عبادات مُتَمَيِّزَة، ولها أخلاقٌ مُتَمَيِّزَة عن غيرها من الأمم، وقد امْتَدَحَ اللّهُ تعالى في مُحْكَم كتابه الكريم هٰذه الأُمَّةِ فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]. وقد سَادَتْ هٰذه الأُمَّةُ الدنيا وانتصرت على قوى الباطِل والكفرِ والشَّرِّ، وحَكَمَتِ الدنيا زهاء ثلاثة عشر قرناً من الزَمَنِ، كانت خلالها أمة قوية متماسكة، كان فيها ولاءُ المؤمن الفَرْد

للَّهِ، ولِرَسُولِهِ، وللخلفاءِ مِن بعده، ولإخْوانِهِ المُؤمنين، فكان كل مسلم يَشْعُرُ بانتمائه لأُمَّةِ الإسلام، ويَفْخَرُ بهٰذا الانتماءِ، ويَرْتَبِط بِرِباط الطاعَةِ والولاء لله ولرسوله ولخليفَةِ المسلمين، وبرباط الأخوَّةِ والولاءِ لإخوانه المؤمنين في هٰذه الأُمَّة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: 59]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: 10]. وكانت هٰذه الأمةُ تحمل دوراً مهمّاً في الأرض أناطَهُ اللَّه بها، وكلّفها بحمله، وهو هداية البشرية إلى ربّها وتطبيق شرعه، وتحمل رسالة الإسلام إلى الناس كافّة.

إزالة دولة الإسلام

ظَلَّتْ أُمَّةُ الإسلام على هٰذه الصفة طوال ثلاثة عشر قرناً من الزَمَنِ، كانت خلالها تَغِيظُ أعْدَاءَها الذين يَتَرَبَّصُون بها الدَّوائِر، ويَنْتَظِرون الفُرْصَةَ المؤاتية لِضَعْفِها والانقضاضِ عليها، وإزالتها من الوجود، وما إنْ حلّ القرنُ العشرين حتى انقضّ هٰؤلاء الأعداء على الأمّة الإسلامية، فأزالوا دولتها السياسية الحاكمة بشرع اللَّه والمطبِّقة له من الوجود، وعقدوا مؤتمر «سايكس بيكو» الذي تقاسَمُوا فيه دول العالم الإسلامي، ودخلوه بجيوشهم العسكرية المُسَلَّحة، وأعطوا اليهود وعداً بإقامة دولةٍ لهم في فلسطين هو: «وعد بلفور»، وهكذا انتهى دَوْر المسلمين على الساحة العالمية، وأُزيلت دولتهم من الوجود، وتعطّلت شريعة الله في الأرض، وقامت دولة لليهود في فلسطين، ونصب هؤلاء المستعمرون في كل بلد إسلامي حُكّاماً موالين لهم، وحكومات عَلمانية، لم تَتَرَبَّ تربيةً إسلامية صالحة، وإنما تربّت على أيديهم، وفي مدارسهم ومحافلهم، ولا تمتُّ للإسلام والمسلمين بصلة، وإنما ولاؤها لأعداء الإسلام والمسلمين، لا يشعر أحدهم أنه عُضوٌ في الأمة الإسلامية المفكّكة، بل يفخر بكونه عضواً في المحافل المحَلِّيّة والدُّوَلِيَّة، يأتمر بأمر أعداء الإسلام وينتهي بنهيهم، أَعْطَاهم الولاء كامِلاً، وانسَلخ مِن دينه وأُمَّتِه، وأصبح أداةً طَيِّعَةً بأيديهم.

العمل على تغريب الإسلام

بعد القضاء على دولة الإسلام السياسية الجامعة لشعوب العالم الإسلامي،

بقيت الشعوب الإسلامية المفككة المتفرقة التي لا يجمع شَمْلَها دولةٌ تُشَكِّلُ عَقَبَةً كبيرة في وجه مخططاتهم ومؤامراتهم، فعملوا على حرب الإسلام وإبعاد أهله عنه، وجَعْلِهم أُناساً لا دينيين، عَلمانيين، وذلك بتشكيكهم بدينهم، وضرب ولائهم له في نفوسهم، وزرعوا في أذهانهم عبر وسائل الإعلام، ومناهج التعليم، وعبر الجمعيات والأحزاب والمحافل التي أوجدوها فيما بينهم، أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين عن ركب الحضارة، وأن السبيل الوحيد لنهضة الشعوب الإسلامية هو بترك هذا الدين، والأخذ بالحضارة الغربية، وتقليد الغرب بتركه للدين وأخذه بالعَلمانية، ووصفوا الإسلام بالرجعية والتأخر، وأنه أفيون الشعوب، وقام بترويج هٰذه الأفكار بين المسلمين جيوشٌ مِن العَلمانيين المستغربين الذي تَرَبَّوْا على أيدي أعداء الإسلام، وفي مدارسهم ومحافلهم، وجمعياتهم السِرِّيَّة والعلنية، وأحزابهم السياسية والاجتماعية، أعطوا هؤلاء الأعداء وَلاءَهم الكامل، وناصَبوا الإسلامَ وأَهْلَهُ العَداوةَ المَريرة، وتَسَمَّوْا بالبنّاءِين تارة، وبالمُصْلِحين تارة أخرى، وبالمُتَنَوِّرين، والتَقَدُّمِيِّين، والمُتَحرِّرين، والعقلانيين، وما إلى ذلك من الألقاب البَرّاقَة التي ظاهِرُها البِناءُ، وباطِنُها الهَدْمُ، واستخدم أعداءُ الإسلام هؤلاء «المُسْتَغْرِبينَ» كمعاوِلَ هَدْم لتهديم أمَّة الإسلام، وإزالة الحضارة الإسلامية نهائياً من الوجود كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ⑧﴾ [الصف: 8]، ولكنّ هؤلاء نَسَوْا أن هذا الدين دينُ اللَّهِ، وأنهم أعلنوا حَرْبَهم على الله، وأن اللَّهَ حافِظُ دينه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ⑨﴾ [الحجر: 9]، فهل سيعود هؤلاء إلى رشدِهِم ويتوبون إلى رَبِّهم قبل فوات الأوان ويعلمون أن الغَلَبَة في النهاية لله رب العالمين؟ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 21].

37 ـ الوكيل

معناه

أي: القائم بأمور عباده، وبتحصيل ما يحتاجون إليه، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ومَن اسْتَغْنَى به أغناه عَمّا سِوَاهُ. ومَن عَرَف أنَّ اللَّهَ هُوَ الوكيلُ الحَقُّ في تَدْبِير ما

غابَ عَنْ عِبَادِهِ، وما حَضَر لديهم مِنْ أمْرٍ، اكْتَفَى بالالتجاءِ إليه، ولم يتوكَّل إلّا عليه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: 23]. وقال الله تعالى، في حكاية قولِ الصالحين مِن أصحاب محمدٍ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: 173] وقال أيضاً: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: 65].

أقوال العلماء في تفسيره

يقول حُجَّةُ الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «المَقْصد الأسنى في شرح أسماء الله الحُسْنَى» في تفسير اسم الله الوكيل: (هو الموكول إليه الأمورُ؛ لكن الموكول إليه يَنقسمُ إلى: مَن يوكَلُ إليه بعضُ الأمور، وذلك ناقص، ومَن وُكِلَ إليه الكُلُّ، وليس ذلك إلّا لِلَّهِ تعالى.

والمَوْكُولُ إليه ينقسم إلى: مَن يَسْتَحِقُّ أن يكون موكولاً إليه لا بذاته، ولكن بالتَّوْكيلِ والتفويض. وهذا ناقِصٌ؛ لأنه فقير إلى التفويض والتَّوْلِيَة. ومَن يَسْتَحِقّ بذاته أن تكونَ الأمورُ مَوْكُولَةً إليه، والقلوبُ مُتَوَكِلةً عليه إلا بِتَوْلِيَةٍ، وتفويض مِن جِهَةِ غيره، وذلك هو الوكيلُ المُطْلَق.

والوكيلُ أيضاً ينقَسِمُ إلى: مَن يَفِي بما يوكَلُ إليه وَفاءً تاماً مِن غَيْر قُصُورٍ، ومَن لا يَفِي بالجميع، والوَكيلُ المُطْلَقُ هو الذي الأُمُورُ مَوْكُولَةٌ إليه، وهو مَليٌّ بالقِيام بها، وَفِيٌّ بإتْمامِها، وذلك هو الله تعالى فقط). انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام اللغويُّ مَجْدُ الدين أبو السعادات المبارَكُ بن محمد بن الأثير الجَزرِيّ الشافعي في كتابه: «النهاية في غريب الحديث» في تفسير اسم الله الوكيل: (هو: القَيِّمُ الكَفِيلُ بأرزاقِ العِباد، وحَقيقَتُهُ أنه يَسْتَقِلُّ بأمر الموكول إليه، وقد تكرَّر ذكر التوكُّلِ في الحديث، يُقالُ: توكَّلَ بالأمر: إذا ضَمِنَ القِيامَ به، ووكَّلْتُ أمْري إلى فلان: أي: ألجأته إليه واعتمدتُ فيه عليه، ووكَّلَ فلانٌ فلاناً

إذا اسْتَكْفاهُ أَمْرَهُ ثِقَةً بكفايته، أو عَجْزاً عن القِيام بأمرِ نفسه.

ومنه حديث الدُّعَاءِ: «**لاَ تكِلْنِي إلى نفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ فَأَهْلِكَ**».

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: «**مَن تَوَكَّل بما بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ توكَّلْتُ له بالجَنَّة**» وقيل: هو بمعنى تكفَّل.

وفيه: «أنه نَهَى عن المُوَاكَلَة» قيلَ: هو من الاتِّكال في الأمور، وأن يَتَّكِلَ كُلُّ واحِدٍ منهما على الآخَرِ، يُقالُ: رَجُلٌ وُكَلَةٌ، إذا كثر مِنه الاتِّكالُ على غيره، فَنَهَى عنه، لما فيه من التنافُرِ والتقاطُعِ، وأن يَكِلَ صاحِبَهُ إلى نَفْسِه، ولا يُعينُه فيما ينوبُهُ).

أثر هذا الاسم على العبد: (التوكُّل على الله)

التوكُّل هو طَرْحُ البَدَنِ في العُبُودِيَّة، وتعلُّقُ القَلْبِ بالرُّبُوبِيَّةِ، والطُمأنِينَة إلى الكِفايَة، فإن أُعْطِيَ المُتَوَكِّلُ شَكَرَ، وإنْ مُنِعَ صَبَر. وعرَّفَهُ ذو النون المِصْرِي فقالَ: التَوَكُّلُ: تَرْكُ تَدْبِيرِ النَفْسِ، والانْخِلاَعُ من الحَوْلِ والقُوَّةِ، بأن لا يَرَى المتوكِّلُ لأَحَدٍ حِيلَةً ولا قُوَّةً إلّا باللَّهِ.

التوكُّل في القرآن

وقد أمَرَ اللَّهُ تعالى نبيَّه ﷺ بالتَوكُّل على الله فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: 58]. كما أمر عبادَه المؤمنين بالتَوكُّلِ على الله فقال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: 51]، وقال: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: 23] وبَيَّنَ أنَّ مَنْ يتوكَّلَ على اللَّهِ كَفَاهُ أَمْرَه وحقّق غايَتَهُ ورَغْبَتَه فقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: 2]. وأمر عباده بتفويض جميع أمورهم لمَنْ هو قادِرٌ على تحقيقها ومَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السمٰوات والأرضِ، ومَن هو بَصِيرٌ بالعباد، عالمٌ بأحوالهم، قال تعالى:

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: 44].

التوكّلُ في السُّنَّةِ

أخرج الإمام أحمد في «مسنده» والنسائيُّ، والترمذي في سننهما، والحاكم في «المستدرك»، وصحّحه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ على اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كما يَرْزُقُ الطَيْرَ، تَغْدُو خِماصاً** ـ أي: خاوية البطون ـ **وتَرُوحُ بِطاناً** ـ أي: ترجع إلى أوكارها آخر النهار ممتلئة البطون» وأخرج الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» وأبو يعلى الموصلي في «مسنده» والحاكم في «المستدرك على الصحيحين» عنه ﷺ أنه قال: «**مَن سَرَّهُ أن يكونَ أقوى الناسِ فَلْيَتَوَكَّل على الله**». وأخرج الطبرانيّ في «معجمه الكبير»، والبَيْهَقيُّ في «سننه» وصحَّحه أن النبيَّ ﷺ كان إذا نزل بأَهْلِهِ الضيقُ أَمَرَهُم بالصلاة، ثم قرأ هذه الآية يعني: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: 132]. وأخرج أحمد في «الزُهْد» وابنُ أبي حاتِم في «تفسيره»، والبَيْهَقِيُّ في «شُعَبِ الإيمان» عن ثابت قال: كان النبيُّ ﷺ إذا أصابَت أهلَهُ خَصَاصَةٌ نادَى أهلَهُ بالصلاةِ: «**صَلُّوا صَلُّوا**» قال ثابت: كانت الأنبياءُ إذا نزلَ بهم أمْرٌ فَزَعُوا إلى الصلاة. وأخرج الشيخان البخاريّ ومسلمٌ أنّه ﷺ لما ذكر الذين يدخلون الجنة بغير حساب قيل له: مَنْ هُمْ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال ﷺ: «**هُمُ الذين لا يَرْقُونَ، ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يَتَطَيَّرُونَ، ولا يَكتَوُون، وعلى ربِّهم يتوكَّلون**» يعني: هم الذين كملَ إيمانُهم ولم يَبْقَ فيهم شيء من أمور الجاهلية كالرُّقَى والاسترقاء، وهو التعويذ بما فيه من الشرك، وكالتشاؤم بالطير أو غيره، وكإفراطِ الاعتقادِ في الكيِّ.

فالتوكُّل من لوازم كمال الإيمان؛ لأنه الاعتمادُ على الخالق دون رؤية الخلائِق، فَمَنْ تَوَكَّل على اللَّهِ كَفاهُ، ومَنِ انقطع إليه آواه، قال الله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر: 36]. أوْحَى اللَّهُ إلى نبيّه داودَ ﷺ: «**يا داود مَن دَعاني أَجَبْتُه، ومَن استغاثني أَغَثْتُه، ومَن استَنْصَرَني نَصَرْتُه، ومَن توكَّلَ عليَّ كَفَيْتُه**».

obeikandl.com

38 ـ الحسيب

معناه

الحَسِيبُ: من الحَسْبِ، وهو الاكتفاءُ، فيكون معنىٰ اسم الله الحسيب أي: الكافي، فَمَنْ توكَّل على اللَّهِ فهو حَسْبُهُ، ولا يوجَدُ كافٍ في الحقيقة إلّا الله تعالى. وهٰذا المعنى هو أحدُ معاني هٰذا الاسم، وقد يأتي بمعنى: العليم بالأعْدادِ والحساب. قال الله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: 6].

أقوال العلماء في تفسيره

يقولُ الإمامُ حجَّةُ الإسلامِ أبو حامِدٍ محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «المَقْصِدَ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» في تفسير هٰذا الاسم: (الحَسِيبُ: هو الكافي، وهو الذي مَن كان له كان حَسْبُه، واللَّهُ تعالَى حَسِيبُ كلِّ أَحَدٍ وكافيه.

وهٰذا وَصْفٌ لا يُتَصَوَّرُ حقيقته لغيره، فإن الكفايَة إنما يحتاج إليها المَكْفِي لِوجودِه، ولِدَوام وجوده، ولكمالِ وُجودِه. وليسَ في الوُجُودِ شيء هو وَحْدُهُ كافٍ لشيء إلا الله تعالى، فإنه وحْدَهُ كافٍ كُلِّ شيء، لا لِبَعْضِ الأشْياءِ، أي: هو وحدُه كاف يَتحصَّلُ به وجودُ الأشياءِ، ويَدومُ به وُجودُها، ويكمل به وُجودُها.

ولا تَظُنَّنَّ أَنَّكَ إذا احْتَجْتَ إلى طعام، وشرابٍ، وأرضٍ، وسَماءٍ، وشَمْسٍ وغير ذلك، فقد احْتَجْتَ إلى غيره، ولم يكن هو حَسْبُك، فإنه هو الذي كفاك بخلْقِ الطعام والشراب والأرض والسماءِ، فهو حَسْبُكَ.

ولا تَظُنَّنَّ أنّ الطِفْلَ الذي يحتاجُ إلى أُمِّه تُرْضِعُه وتَتعهَّدُه، فَلَيْسَ اللَّهُ حَسِيبَه وكافِيهِ، بل اللَّهُ كَفَاهُ إذْ خَلَقَ أُمَّهُ، وخَلَقَ اللبَنَ في ثَدْيها، وخَلَقَ لهُ الهِدَايَةَ إلى التقامِهِ، وخَلَقَ الشَفَقَةَ والمَوَدَّةَ في قَلْبِ الأُمِّ حتى مَكَّنَتْهُ مِنَ الالْتِقَام، وَدَعَتْهُ إليه وحَمَلَتْه عليه. فالكفايَةُ إنما حَصَلَتْ بهٰذه الأسبابُ، واللَّهُ وحْدَهُ هوَ المُنْفَرِدُ بِخَلْقِها لأَجْلِهِ.

ولو قيلَ لكَ: إنَّ الأمَّ وحدَها كافِيَةٌ للطِفْلِ، وهي حَسْبُهُ، لَصَدَّقْتَ به ولم

تَقُل: إنها لا تكفيهِ؛ لأنه يَحْتاجُ إلى اللَّبَنِ، فمِنْ أينَ تكفيه إذا لم يكن لَبَنٌ؟ ولكنَّكَ تقولُ: نَعَمْ يَحْتاجُ إلى اللَّبَنِ، ولكنَّ اللَّبَنَ أيضاً من الأمِّ فليسَ مُحتَاجاً إلى غَيْرِ الأم، فاعْلَمْ أن اللَّبَنَ لَيْسَ مِنَ الأُمِّ، بَلْ هُوَ والأُمُّ مِنَ اللَّهِ ومِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ.

فَهُوَ وحْدَهُ حَسيبُ كُلِّ أحَدٍ، وليسَ في الوُجود شيءٌ وحدُه هو حَسِيب شيءٍ سِوَاه، بلِ الأشياءُ يتعلَّقُ بعْضُها بِبَعْضٍ، وكلُّها تتعلَّق بقُدْرَةِ اللَّهِ تعالى.

ليس للعبد مَدْخَلٌ في هٰذا الوَصْفِ إلّا بنوعٍ مِنَ المَجاز بعيد، وبالإضافةِ إلى بادِيء الرأي: وسابق الظنّ العامِّيّ.

أمَّا كونُه مَجازاً: فَهُوَ أنَّه إن كان كافياً لطفله في القيام بِتَعَهُّدِه، أو لتلميذه في تَعْلِيمِه حتى لم يفتقر إلى الاستِعَانَةِ بغيْرِهِ، كان واسِطَةً في الكِفايَة ولم يكن كافِياً؛ لأن اللَّهَ تعالى هو الكافِي، إذْ لا قِوَامَ له بنفسه، ولا كِفَايَةَ له بِنَفْسِهِ، فكيف يكونُ هو كفايةً غيره؟

وأما كونُه بالإضافَةِ إلى سابِقِ الظَّنِّ. فهو أنَّهُ وإنْ قُدِّرَ أنَّهُ مُسْتَقِلٌّ بالكِفَايَةِ، وليسَ بواسِطَةٍ، فهو وحْدَه لا يكفي إذْ يَحتاجُ إلى مَحَلٍّ قابِلٍ لفعله وكِفايَتِه، هٰذا أقلّ الأمور. فالقَلْبُ الذي هو مَحَلُّ العِلْمِ، لا بُدَّ منه أوّلاً ليكونَ هو كافياً في التعـيم. والمَعِدَةُ التي هي مُسْتَقَرُّ الطعام، لا بُدَّ منها ليكونَ هو كافياً بإيصالِ الطعام إلى بَدَنِهِ، هٰذا مع ما يَحتاجُ إليه مِن أُمُورٍ كثيرة لا يُحصيها ولا يدخُل شيءٌ منها في اختياره. وأقَلّ درجات الفعل حاجته إلى فاعِل وقابل، فالفاعِل لا يكون دون القابل أصلاً، وإنما صَحَّ هٰذا في حَقِّ اللَّهِ تعالى؛ لأنّه خالقُ الفعل، وخالِقُ المَحَلِّ القابِلِ، وخالقُ شرائِط قَبُولِهِ وما يَكتَنِفُهُ.

ولكن بادىء الرأي: رُبَّما سَبَقَ إلى الفاعِل، ويَخْطر بالبابل غَيْرُهُ، فيُنْظَرُ أنَّ الفاعِلَ حَسْبُهُ وحْدَه وليس كذلك.

نَعَمْ الحظّ الذي منه للعبد أن يكونَ اللَّهُ وَحْدَهُ حسبه بالإضافَةِ إلى هِمَّتِهِ وإرادته، وهو أنَّه لا يُريدُ إلّا اللَّه، ولا يُريدُ إلَّا الجنَّةَ، ولا يَشْغَلُ قَلبه بالنار لِيَحْذَرَ منها بل يكونُ مستغرقَ الهمِّ باللَّهِ وحْدَه. وإذا كاشفه بجلاله قال: ذلك حَسْبي، فَلَسْتُ أريدُ غيْرَه ولا أبالي). انتهى ما ذكره الغزالي.

ويقول الإمام مجدُ الدين المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» في شرح هٰذا الاسم: (الحَسِيبُ: هو الكافي، فعيلٌ بمَعْنَى: مُفْعِلٌ، مِن أَحْسَبَنِي الشَّيءُ إذا كَفانِي، وأَحْسَبْتُه وحَسَّبْتُه ـ بالتشديد ـ أَعْطَيْتُه ما يُرضيه حتى يقولَ حَسْبي ـ أي: اكتفيت ـ ومنه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال له النبي ﷺ: «**بِحَسْبِكَ أن تَصُومَ من كل شَهْرٍ ثلاثَةَ أيَّام**» أي: كِفايَتكَ أو كافِيكَ، وقد قال له النبي ﷺ ذلك؛ لأنّ الحَسَنَة بعشرة أمثالها، فمن صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنه صام ثلاثين يوماً وهو الشهر كاملاً، ومَن داوَم على ذلك كلّ شهر، فكأنه صام دهره كلّه من حيث الأجر والثواب. وقد بيّن النبي ﷺ في حديث آخر أنه أوصى بصيام ثلاثة أيام مِن أوسط كل شهر عربي هلالي، وهي: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ويسمّيها بعضهم: بالأيام البيض؛ لأن القمر يكون فيها بدراً مكتمل النور، وقد أثبتت دراسة أمريكية أن تأثير جاذبية القمر تكون قوية في هٰذه الأيام، وينتج عنها المَدُّ في مياه البحار والأنهار والمُحيطات، وكذلك فإن لها تأثيراً على ضغط الإنسان، حيث يرتفع وتزداد عصبيّته وتتوتّرُ أعصابُه، ولذلك فقد سَجَّل إحصاءٌ في مكاتب الأمن الأمريكي ارتفاع نسبة الجرائم في هٰذه الأيام الثلاثة في جميع الولايات الأمريكية، ومِن المعلوم أن الصيامَ يُخفّف من غلواء الإنسان، ويُهدِّىء أعصابَه، فقد قدَّم النبي ﷺ للبشرية الدواء النافع والبلسم الشافي قبل أربعة عشر قرناً من الزمن.

39 ــ الصمد

معناه

هو الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج، أي يُقْصَدُ فيها، إذْ لا كافي في الحقيقة إلّا هو، والرجوعُ إلى اللَّهِ في كُلِّ أمْرٍ إنما يكونُ بِوَصْف أنه سبحانه هو الوَهّاب بقُدْرَتِهِ، والمُدَبِّر بحكمته، وهٰذا المعنى هو أحد معاني هذا الإسم الكريم، ومَن عَرَفَ أنّ اللَّهَ هو الصَّمَدُ لم يرجع في كلّ أمره لغيره، بل كان به غَنيّاً، وبقضائه رضيّاً. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص: 1، 2].

أقوال اللغويين في تفسيره

أخرج الأزهريُّ في «تهذيب اللغة» عن الأعمش، عن أبي وائل أنه قال: (الصَمَدُ: السَّيِّدُ الذي قد انتهى سُؤْدُدُهُ). قال الأزهريُّ: (أمَّا اللَّهُ تبارك وتعالى فلا نهايَةَ لسُؤْدُدِهِ؛ لأن سُؤْدُدَهُ غيرُ مَحْدُود). وقال أبو عبد الرحمٰن السُلَمِيُّ: (الصَمَدُ: الذي يُصْمَدُ إليه الأَمْرُ فلا يُقْضَى دُونَهُ، وهو مِنَ الرِجَالِ: الذي ليسَ فَوقَهُ أَحَدٌ). وقال الحَسَنُ: (الصَمَدُ: الدائِمُ) وقال مَيْسَرَةُ: (المُصْمَدُ والمُصْمَتُ: الذي لا جَوْفَ له). وقيل: الصَمَدُ الذي صَمَدَ إليه كلُّ شيءٍ، أي الذي خَلَقَ الأشياءَ كُلَّها، لا يَسْتَغْنِي عنه شَيْءٌ، وكلُّها دالٌّ على وحدانيّتِهِ. وقيل: الصَمَدُ: الدائِمُ الباقي بعد فَناءِ خلقه. وهٰذه الصفاتُ كلّها يَجوزُ أن تكون لله ﷻ: وقال الليثُ: (صَمَدْتُ صَمْدَ هٰذا الأمر: أي قَصَدْتُ قَصْدَهُ واعْتَمَدْتُه). وقال أبو زيد: (إني على صَمَادَةٍ مِن أَمْرٍ: إذَا أشْرَفَ عليه وحَفِلَ به). وقال الأصمعيُّ: (الصَّمْدُ: المكانُ المُرْتَفِعُ الغليظ، والمُصَمَّدُ: الصُلْبُ الذي ليس فيه خدد) وقال أبو عمرو بن العلاء: (الصَّمْدُ: الشديدُ مِن الأرض). وقال أبو عبيدة: (الصمَدُ السيِّدُ الذي يُصْمَدُ إليه، ليس فوقه أحَدٌ فعلى هٰذا هو (فَعَلٌ) بمعنى: (مَفْعُول).

أقوال العلماء

يَقولُ حجَّة الإسلام الإمامُ أبو حامِد محمد بن محمد الغزاليُّ الشافعي في كتابه: «المَقْصِد الأَسْنَى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحسنى» في تفسير هٰذا الاسم: (الصَمَدُ هو الذي يُصمَدُ إليه في الحوائج، ويُقصَدُ إليه في الرغائب، إذْ يَنْتَهِي إليه مُنْتَهى السُّؤْدُدِ، ومَن جعله الله تعالى مَقْصِدَ عِبادِه في مُهمّاتِ دينهم ودُنياهم، وأجرى على لسانِهِ ويدِه حوائج خلقه، فقد أنعم عليه بِحَظٍّ مِن معنى هٰذا الوصف، لكن الصَمَدَ المطلقَ هو الذي يُصْمَدُ إليه في جميع الحوائِج، وهو اللَّهُ تعالى).

ويقول الإمام المحدّث مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه: «النهاية في غريب الحديث» في تفسيره: (قال ابن مسعود: الصمَدُ هو السَّيِّدُ الذي انْتَهَى إليه السُّؤْدُد. وقيل: هو الدائِمُ الباقي، وقيل: هو الذي لا جَوْفَ له. وقيل: هو الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائِج، أي يُقْصَدُ. ومنه حديث معاذ بن الجَمُوح في قتل أبي جَهْل: «فَصَمَدْتُ له حتّى

أَمْكَنَتْنِي منه غِرَّةٌ» أي ثَبَتُّ له وقَصَدْتُهُ وانتظرتُ غَفْلَتَهُ» ومنه حديث عَلِيٍّ: «فَصَمْداً صَمْداً حتى يَنجلِيَ لكم عَمُودُ الحَقِّ». قال البخاريُّ: والعرب تُسَمِّي أشرافها الصَمَدُ.

أثر هٰذا الاسم على الإنسان

إنّ مَن عَلِمَ أن اللّهَ هو السَّيِّدُ الصَمَدُ الذي يُرْجَعُ إليه في كل أمر، فإنه يَلْجَأُ إليه في قضاء حوائجه، ولا يلجأ لِسِواه، ويتوكَّلُ عليه ولا يَعْتَمِدُ على أحدٍ سِواه، ويُفوِّضُ أمورَه له، ولا يعودُ يَرَى للأسباب تأثيراً، بل يَعْلَمُ أنّ خالِقَ الخَلْقِ ومالكَهُم ومُوجِدَهم مِنَ العَدَم، هو وحده القادِرُ على تحقيق مرادِه، وهٰذا له أثرٌ بالغٌ على نفس الإنسان، يتمثَّل بالطمأنينة والسكينة، والثِقَة القَويَّة المطلقة بالله والأَمَلِ الواسِع به، وهو قوة دافعة تشرح الصَّدْرَ لِلعَمَل، وتَبْعَثُ النشاط في الروحِ والبَدَنِ، وتَدفع عن النفسِ اليأسَ الذي يُحَطِّمُ فيها بواعِثَ العمل، ويُوهي في الجَسَدِ دواعي القُوّةِ والنشاط.

إن المؤمِنَ باللّهِ، هو أوسَعُ الناسِ أملاً، وأكْثَرُهُمْ تفاؤلاً واسْتِبْشَاراً، وأبْعَدُهُمْ عَنِ التَشاؤُم والتَبَرُّم والتَضَجُّرِ، ذلك لأنه يَعْتَصِمُ بربِّه، الإلٰهِ البَرِّ الرحيم، العزيزِ الكريم، الغفورِ الوَدودِ، الفعّالِ لمَا يُريد، يَجِدُ فيه الملاذَ في الشِدَّة، والأنيسَ في الوَحْشَةِ، والنَّصِيرَ في القِلَّةِ، فيعيشُ على أملٍ لا حَدَّ له، ورَجَاءٍ لا تَنْفَصِمُ عُراهُ، إنه دَائماً مُتفائِلٌ مُسْتَبْشِرٌ، يَنظُرُ إلى الحياةِ بِوَجْهٍ ضاحِكٍ، ويَسْتَقبِلُ أحداثَها بِثَغْرٍ باسِمٍ، لا بِوَجْهٍ عَبُوسٍ قمطرير.

فهو إذا مَرِضَ لم ينقطع أملُه في العافِيَة، قال اللّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: 78 - 80].

وإذا اقترف ذنباً لم يَيْأسْ مِنَ المَغْفِرَة، لأنه يعلم أنه مَهما يكن ذَنْبُهُ عَظيماً فإنَّ عَفْوَ اللّهِ أَعْظَمُ، قال اللّهُ تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: 53].

وهو إذا أعْسَرَ لم يَزَلْ يُؤَمِّل في اليُسْرِ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: 5، 6] وهو إذا انْتَابَتْهُ كارِثَةٌ مِن كَوارِثِ الزَمَنِ كان على رجاءٍ مِنَ اللَّهِ أن يُؤجِرَهُ على مُصيبَتِهِ، ويُخلِفَه خيراً منها: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة: 156، 157].

وهو إذا عادى في الله أو كَرِهَ، كان قريباً إلى الصُلْح، راجياً في الصَفَاءِ والوِئام، مُؤمناً بأن اللَّهَ يُحوِّلُ القُلوب ﴿۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة: 7].

أما المادِّيُون فإنَّهم يَقِفُون عند السُنَن المُعتادَةِ والأسْبَابِ الظاهِرَة، لا يَطْمَعُونَ في شيء غيرها، ولا ينفذون مِن ورائها إلى سِرّ الوجود، إلى اللَّهِ خَالِقِ الأسباب والمُسَبِّبات، الذي عنده من الأسباب الباطِنَة ما يَخفى على إدراك العِباد، لذلك فإنّ أكثر ما نجدُ اليأسَ في صُفوفِ هؤلاءِ الذينَ قطعوا صِلَتَهم بخالِقِهِمْ وخالِقِ الكون، وهناك ارتباطٌ بين اليَأس والكفر، كِلَاهما سَبَبٌ للآخَرِ، وثمرةٌ له، اليأسُ يَلِدُ الكُفْرَ، والكفر وليدٌ لليأس ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٧﴾ [يوسف: 87].

40 ـــ المُجِيبُ

معناه

مأخوذ من الإجابة، وهي تلبية الطلب، وكَوْنُ اللَّهِ مُجِيباً: أي مُلَبِّياً دَعْوَة الدَّاعِي إذا دَعَاهُ، ومُسْعِفاً السائِلِ إذا ما التجأ إليه واستدعاه، قال الله تعالى في مُحكم كتابه الكريم: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: 62]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾ [البقرة: 186]. وقال تعالى في حكاية قول النبي صالح ﷺ لقَوْمِهِ: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: 61] ومَن عَرَفَ أنّ اللَّهَ وَحْدَهُ هو المُجيبُ لِدُعَاءِ المُضْطَرّ، القادِر على كَشْفِ السُوءِ عنه، فإنَّهُ لَا يَدْعُو غَيْرَه، ولا يَلْتَجِيء إلّا إليه.

أقوال العلماء في تفسيره

يقول الإمام الغزالي في كتابه: «المَقْصد الأسنى في شرح أسماء اللّٰهِ الحُسْنَى» في تفسير هٰذا الاسم: (المجيبُ هو الذي يُقابل مسألة السائلين بالإسعاف، ودُعاء الدَّاعِين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل يُنْعِم قبل النداء، ويتفضّل قبل الدعاء. وليس ذلك إلا الله تعالى، فإنه يعلم حاجة المُحتاجين قبل سُؤالهم، وقد علمها في الأزل فدبّر أسباب كفاية الحاجات، بخَلْقِ الأطعمة، والأقوات، وتَيْسير الأسْباب والآلات الموصلة إلى جميع المهمّات.

العَبْدُ ينبغي أن يكون مُجيباً أوّلاً لِرَبِّه تعالى فيما أمره به، ونهاه عنه، وفيما نَدَبَهُ إليه ودَعاه، ثم لعباده فيما أنعم اللّٰهُ عليه بالاقتدار عليه، وفي إسْعَادِ كلِ سائل بما يَسْأَلُهْ إنْ قَدِرَ عليه، وفي لُطْفِ الجَوابِ إن عَجِزَ عنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10] وقال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة عند «البخاري» في النكاح: «**لَوْ دُعِيتُ إلى كراعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِراعٌ لَقَبِلْتُ**» وكان حضورُه الدَعَواتِ وقَبُولُه الهَدايا غَايَةَ الإكرام والإيجابِ منه. فكمْ مِن خَسِيسٍ مُتَكَبِّر، يَتَرَفَّعُ عن قَبُولِ كلِ هديَّة، ولا يَتَبَذَّلُ في حُضورِهِ كلَّ دَعْوَة، بل يَصونُ جاهَهُ وكِبْرَه، ولا يُبالِي تَقَلُّبَ السائِل المُسْتَدْعي، وإنْ تَأَذَّى بسببه، فلا حَظَّ لمثله في معنى هٰذا الاسم).

ويقول الإمام المُحدِّث مجدُ الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذا الاسم في كتابه: «النهاية في غريب الحديث»: (المُجيب هو الذي يُقَابِلُ الدُعَاءَ والسُؤَالَ بالقَبُولِ والعَطاء، وهو اسمُ فاعِل مِن أجابَ يُجيبُ. وفي حديث أبي ذر الغفاري عند أحمد في «المسند»: «أنَّ رَجلاً قال: يا رسولَ اللّٰهِ! أيُّ الليل أَجْوَبُ دَعْوَةً؟ قال: جَوْفُ الليلِ الغابِرِ» ومعنى أَجْوَبُ: أي أَسْرَعُ إجابة، وأمضى دعوة وأنفذ إلى مَظانِّ الإجابة والقبول).

أثر هٰذا الاسم على العَبْد

إن مَن عَلِمَ أنّ اللّٰهَ مُجيبٌ يُجيب عبادَه إذا دَعُوه، حاول أن يكون له حَظٌّ

من هٰذا الاسم الكَريم، وحَظُّ العَبْدِ مِن هٰذا الاسم أن يُجيبَ ربَّهُ إذا دَعاهُ لطاعته، ونهاه عن مَعْصيته، وذلك عن طِيب نَفْسٍ، ومَحَبَّةٍ وإيمان، ورَجاءٍ برضوان الله ورحمته، وخوفٍ من غضبه وعِقابه، وإيثارٍ لما عنده على شهوات نفسه وملذّاتها.

وحظّ العَبْد مِن هٰذا الاسم أيضاً أن يُجيبَ عبادَ اللّه إذا سألوه فيما يقدر عليه، ولا يبخلُ عليهم فيما يَملِك وأَنْعَمَ اللّهُ به عليه، فاللّهُ يُحِبُّ العَبْدَ الكريمَ السَّخِيّ الجواد، ولا يحبُّ البخيلَ الشحيحَ المُقَتِّر. إنَّ الكرمَ والسَخاءَ خُلُقٌ نبيلٌ حَسَنٌ وعاطِفَةٌ إنسانية سامية، وغايةٌ رفيعة، وهو أعْظَم أساسٍ يُبْنَى عليه المجتمع الإسلامي لما فيه من تقوية الإلْفة والوَحْدَةِ والمَحَبَّةِ والمَجْد بين المسلمين، وهو أفضل سبيل يَسيرُ فيه المجتمعُ الصالحُ لإيجاد التوازن الاجتماعي بين طبقات المجتمع، ومكافحة الفقر والحرمان ومُواساة المَنْكُوبين.

إن الدول العظمى في الغرب اليوم لم تجد حَلًّا لمشكلة الفقر لديها، وهناك مناطق كبيرة فيها لتجمُّع الفقراء، وذلك لأن النظام الرأسمالي يفرز الناسَ إلى طَبقتين: أغنياء فاحشي الغِنَى والثراء، وفُقَراء مُعْدَمين، ولكي تتوازن أمور الدولة فإنها تفرض الضرائب الباهظة على الأغنياء الذين يدفعونها كُرْهاً عنهم، ويحاولون التَهَرُّب منها بالوسائل غير المشروعة والمخالِفَة للقوانين، وتُطالِعُنا الصحفُ الغربيَّة يَوْمياً عَن أخبار شركات عملاقة وأشخاص ذوي ثروات هائلة يتهرّبون من الضرائب، ولا تزال مشكلة الفقر عندهم تشكّل عِبْئاً على دولها، وهي تتفاقم وتَزْداد يوماً بعد يوم، بما يُنذِرُ بانفجار اجتماعي خطير وثورةٍ للجياع في العالم، بينما أظهرت دراسات إحصائية أن الثروة في العالم تنحصر بيدِ فئة قليلة من الجشعين الطامعين، وأن تسعة أشخاص أثرياء في العالم يملكون ما يملكه سائر سكّان الكرة الأرضية، وأن الثروة في العالم تتجّه إلى أن تنحصر في يد فئة قليلة، بينما سيعيش معظم سكان العالم تحت خط الفقر، وبعضهم في حالة العدم والمجاعات والكوارث البيئية، ومع ذلك لا يفكّر أغنياؤهم بفقرائهم ويعيشون في عُزلة نفسية، وأنانية حيوانية، وكأن الأمر لا يعنيهم!! وذلك لأنهم فقدوا إحساسهم الإنساني النبيل، وتحوّلت نفوسهم إلى غول بشع يريد ابتلاع كل ما حوله.

لقد أوجد الإسلام الحل للبشرية قبل أربعة عشر قرناً من الزمَن، وذلك

بتربية الضمير والوازع الأخلاقي لدى الأغنياء، فأعلمهم أن المال مال الله، وأنه هو الواهب الرازق، وأن له حَقّاً في هذا المال يُدفع للفقراء بنسبة معيّنة هي 2,5٪ وهي الزكاة عَلاوةً على ما تجود به نفوسهم من الخير والتطوُّع بالصدقات وفعل الخيرات، والمسلم الغني يُخرِج من يده ماله للفقراء وهو يشعر بأنه يؤدّي عبادَة لرَبِّه يثابُ عليها رضوانه ومثوبته وعفوه وغفرانه، مع شعور أخَوِي كريم بإخوته الفقراء في المجتمع، فيُسرعُ إلى معاونتهم وإخراجهم من فقرهم وبؤسهم مع شعور بالمحبّة فياض، وليس عن كره، وكذلك فإنّ من نتيجة ذلك أن يزول البغضُ والشحناء والحقد من الفقراء على الأغنياء، وتكون نتيجة ذلك سلامة المجتمع من الأحقاد والأضغان، والتكافل والتوازن الاجتماعي.

openkandl.com